# جولة في شارع المعز

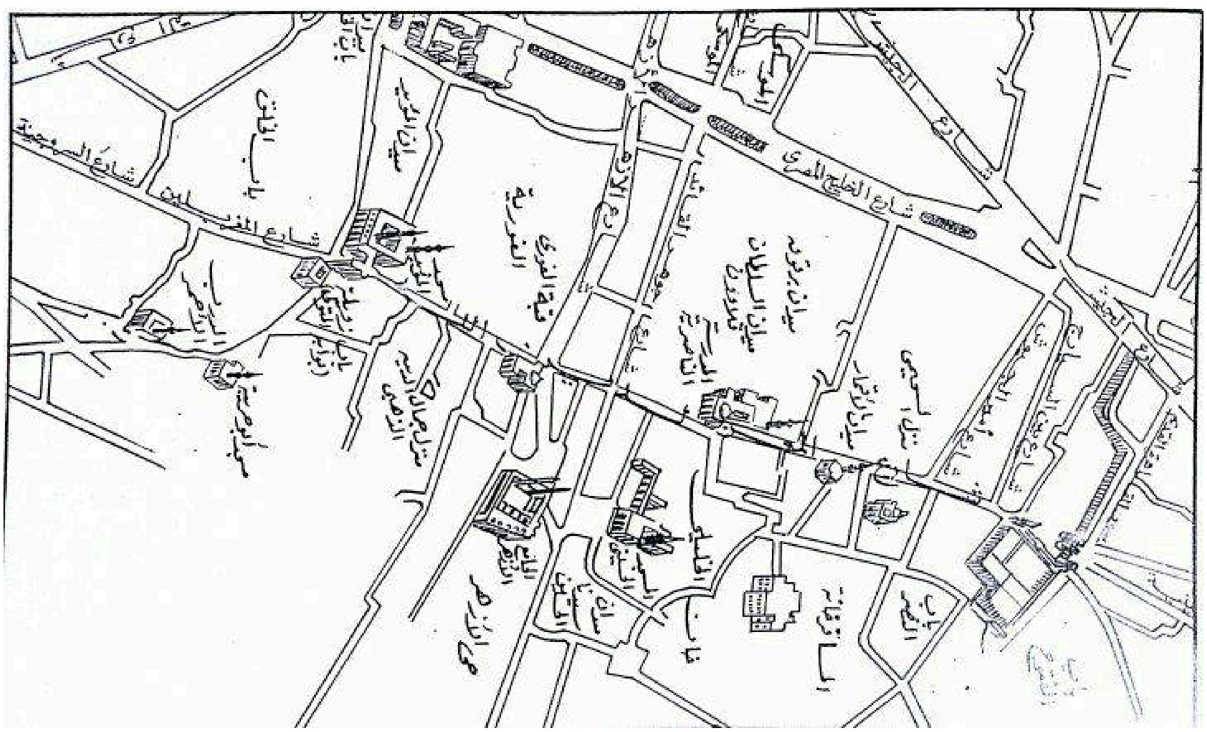
**إعداد: أسامة العسكري**
**vet.oelaskary@gmail.com**

# الشارع الأعظم

شيَّده الوزير الفاطمي (جوهر الصقلي) عام 969 ميلاديًا بأمر من الخليفة الفاطمي (المعز لدين الله). سمَّاه (الشارع الأعظم) أو (قصبة القاهرة)، تغير اسمه عام 1937 لشارع المعز لدين الله الفاطمي نسبة لمؤسسه.

يعد أكبر متحف إسلامي مفتوح في العالم، يضم آثارًا من مختلف عصور مصر الإسلامية، من القرن العاشر حتى القرن التاسع عشر. تتنوع الآثار بين عمارة دينية (مساجد ومدارس) وسكنية (بيوت وقصور) وتجارية (وكالات وحمامات) وعسكرية (أسوار وبوابات) وخيرية (سبيل وكتاب).

يمتد الشارع من **باب الفتوح** إلى **باب زويلة**. مرورًا بحواري تاريخية مثل شارع أمير الجيوش، الدرب الأصفر، حارة برجوان، خان الخليلي، الغورية، الضببية، التمبكشية، الخرنفش، المغاربة، بيت القاضي، الدرب الأحمر.. بعضها تعود جذوره لأكثر من 800 سنة، وما زالت تنبض بالحياة حتى اليوم.



# ملخص الحكم الإسلامي لمصر

بعد عصر المصريين القدماء، خضعت مصر لحكم اليونان ثم الرومان ثم البيزنطيين المسيحيين، حتى فتحها القائد عمرو بن العاص سنة 21 هـ. أصبحت مصر ولاية تتبع الخلافة الراشدة، يحكمها الخلفاء من المدينة.

بعد الخلافة الراشدة ظهرت الدولة الأموية وعاصمتها **دمشق**، نسبة لمؤسسها الصحابي معاوية بن أبي سفيان بن أمية وذريته. بعد 90 عام، طالب آل البيت بالخلافة، فسقطت الدولة الأموية أمام جيش العباسيين المنسوبين للعباس بن عبدالمطلب، وغضب الفاطميين المنسوبين لفاطمة الزهراء لاحتكار العباسيين للخلافة.

**الدولة العباسية:**

حكم العباسيون الدولة الإسلامية من العاصمة **بغداد**. كان الخليفة العباسي يرسل والي على مصر، يدير شئونها ويرسل له الضرائب. قوي الفاطميون في المغرب، واستقلوا بدولتهم عن الخلافة. نجحوا في غزو مصر عام 969 م. وأنشأوا مدينة القاهرة لتقهر الخلافة العباسية.

**الدولة الفاطمية:**

أحاط الوزير الفاطمي جوهر الصقلي القاهرة بأسوار طينية وبنى داخلها الجامع الأزهر والقصر الشرقي والقصر الغربي. ثم أعيد بناء الأسوار من الحجر في عهد الخليفة المستنصر بالله على يد الوزير بدر الدين الجمالي أمير الجيوش.
زاد حجم الدولة الفاطمية فشملت مصر وشمال أفريقيا والحجاز والشام واليمن والشاطئ الأفريقي للبحر الأحمر. كلها تُحكم من مصر.
حكم الفاطميون 200 سنة، الـ 100 سنة الأولى يسمى عصر الخلفاء العظام، كان الخليفة هو الشخص الأهم. مثل المعز لدين الله، والعزيز بالله، والحاكم بأمر الله، حتى المستنصر بالله حين استعان بالوزير بدر الجمالي أمير الجيوش لإنقاذ مصر من الشدة المستنصرية، لتبدأ الـ 100 سنة الأخيرة عصر الوزراء العظام، كان الوزير هو صاحب الكلمة وليس الخليفة.

**الدولة الأيوبية:**

حين ضعفت الدولة الفاطمية، استعانوا بوزراء سنة لحكمهم، فجاء صلاح الدين الأيوبي، الذي أسقط الدولة الفاطمية، وأعادها للخلافة العباسية حتى لا يكون خارجًا على الحاكم. وبدأت الدولة الأيوبية، التي تتبع الخلافة العباسية اسمًا. وأصبحت مصر سُنِّيَة من جديد.

بعد صلاح الدين، تنازع إخوته وأبناؤه، فحكَم أخوه السلطان العادل، ثم ابن أخيه السلطان الكامل، ثم حفيده الصالح نجم الدين أيوب. استعان نجم الدين أيوب بالمماليك الذين اشتراهم في حروبه ضد الصليبيين، المماليك أتوا من آسيا الوسطى وأوروبا الشرقية، تربوا على الدين والقتال، مثل الظاهر بيبرس وسيف الدين قطز والمنصور قلاوون والظاهر برقوق.

تزوج الصالح نجم الدين أيوب من شجرة الدر، وهي جارية مملوكية. ولما احتل الصليبيون مصر، خرج نجم الدين لملاقاتهم وهو مريض، فتوفى. فأخفت زوجته خبر موته، وصارت تحكم باسمه، حتى انتهت الحرب بانتصار المسلمين بجيش من المماليك الأقوياء. وصارت شجرة الدر هي حاكمة مصر. وأول حكام المماليك.

**الدولة المملوكية الأولى:**

ظهر خطر المغول الذين أحرقوا بغداد وقتلوا الخليفة العباسي وأسقطوا الخلافة العباسية. فخرج لملاقاتهم الظاهر بيبرس وسيف الدين قطز. وبعد هزيمة المغول. حكم الظاهر بيبرس مصر، وانتقل الحكم لابنه ذو الـ 7 سنوات.

لكن المنصور قلاوون أزاح ابن بيبرس من الحكم، وفرض نظام الوراثة في الحكم، لينتقل الحكم من بعده لابنه الأشرف خليل، ثم الناصر محمد بن قلاوون وهو ابن 8 سنوات، فأزاحه العادل كتبغا، لكنه عاد مرة أخرى للحكم، ليزيحه هذه المرة صديق والده (بيبرس الجاشنكير). لكن الناصر محمد بن قلاوون استعاد الحكم مرة ثالثة ليحكم مصر 41 سنة.

حكمت أسرة قلاوون مصر حوالي 100 سنة. بعدها اعتمد الحكم على القوة لا الوراثة.

**الدولة المملوكية الثانية:**

انتقل الحكم للمماليك الجراكسة وأولهم الظاهر برقوق الذي كان مملوكًا للمنصور قلاوون. واستمر حكم المماليك الجراكسة، حتى سقطت على يد الدولة العثمانية، وأُعدم آخر سلطان مملوكي وهو طومان باي على باب زويلة.

**الدولة العثمانية:**

صارت مصر ولاية عثمانية، تُحكم من إسطنبول. حتى ثار الشعب ضد العثمانيين، فجاء محمد علي باشا الذي استقل بمصر، وصار الحكم في أبنائه، بداية من إبراهيم باشا حتى الملك فاروق، آخر ملوك مصر.

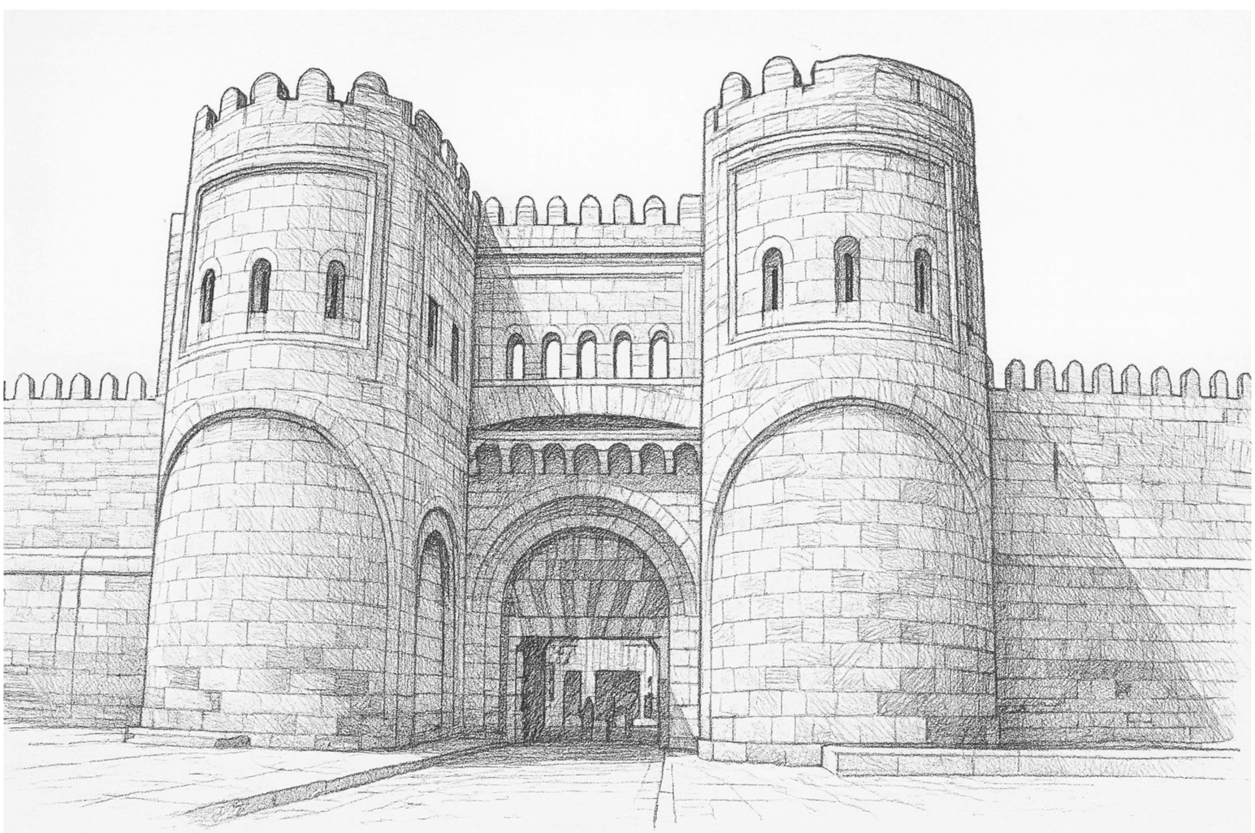
قامت ثورة الضباط الأحرار، ليكون الحكم مصريًا بالكامل، من الرئيس محمد نجيب حتى الرئيس السيسي.

# باب الفتوح وسور القاهرة الشمالي

شُيّد باب الفتوح عام 1087م على يد جوهر الصقلي، ثم أعيد بناؤه بالحجر بعد عشرين سنة على يد الوزير بدر الدين الجمالي في عهد الخليفة المستنصر بالله. سُمّي باب الفتوح لأن الجيوش كانت تخرج منه للفتوحات، وتعود منتصرة من باب النصر.

يضم السور ممرات ودهاليز وغرف سرية ومواقع لرمي السهام وصب الزيت المغلي على جيوش الأعداء، مما يجعله من أهم منشآت الدفاع في العصور الوسطى عالميًا.

أقام صلاح الدين الأيوبي سورًا إضافيًا وألحق به بابان، باب البحر وباب الشعرية، نسبة إلى بنو الشعرية، وهم مجموعة من قبائل البربر قدموا إلى مصر مع القائد جوهر الصقلي في الجيش الفاطمي واستقروا في المنطقة المحيطة بالباب.



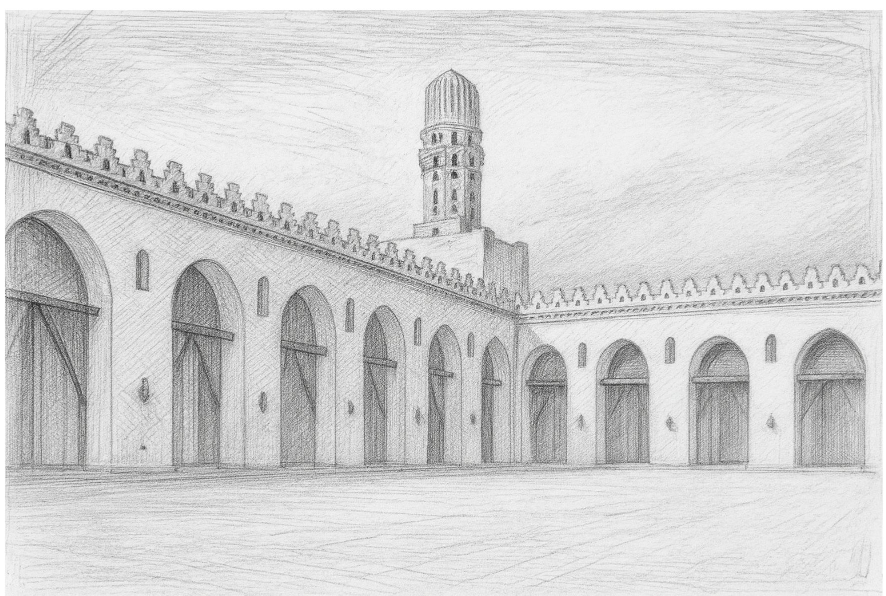
# مسجد الحاكم بأمر الله (الأنور)

يُنسب الجامع إلى الحاكم بأمر الله، رغم أن والده العزيز بالله هو الذي بدأ بناءه سنة 380هـ / 990م. صُلِّيت فيه أول جمعة قبل اكتماله سنة 381هـ. واكتمل بناؤه في عهد الحاكم بأمر الله.

يقع في أول شارع المعز ملاصقًا لباب الفتوح. عند إنشائه كان خارج السور الشمالي الذي بناه جوهر الصقلي، ثم صار داخل السور في عهد المستنصر بالله عندما وسّع بدر الجمالي القاهرة سنة 480هـ / 1087م، فأصبح السور يلتصق بالجدار الشمالي للجامع مباشرة.

سقطت المئذنة بسبب زلزال في عهد الناصر محمد بن قلاوون فأعاد بناءها. وعندما غزا نابليون مصر، اتخذت الحملة الفرنسية الجامع كمقر لها، حيث أقام جنودها فيه. واستخدموا مآذن الجامع كأبراج للمراقبة.

الجامع يتوسطه صحن مكشوف مستطيل تحيط به أربع ظلات، أكبرها ظلة القبلة التي يتوسطها مجاز قاطع، وتعلو منطقة المحراب قبة. للجامع مئذنتين وعدة أبواب، أهمها المدخل المطل على شارع المعز.
أُهمل المسجد طويلًا، إلى أن جاء عصر الرئيس أنور السادات، طلبت طائفة الشيعة البُهرة تجديده على نفقتهم لأنه مكان مقدّس بالنسبة لهم. وافق السادات، ودُعي لافتتاحه بعد ترميمه.

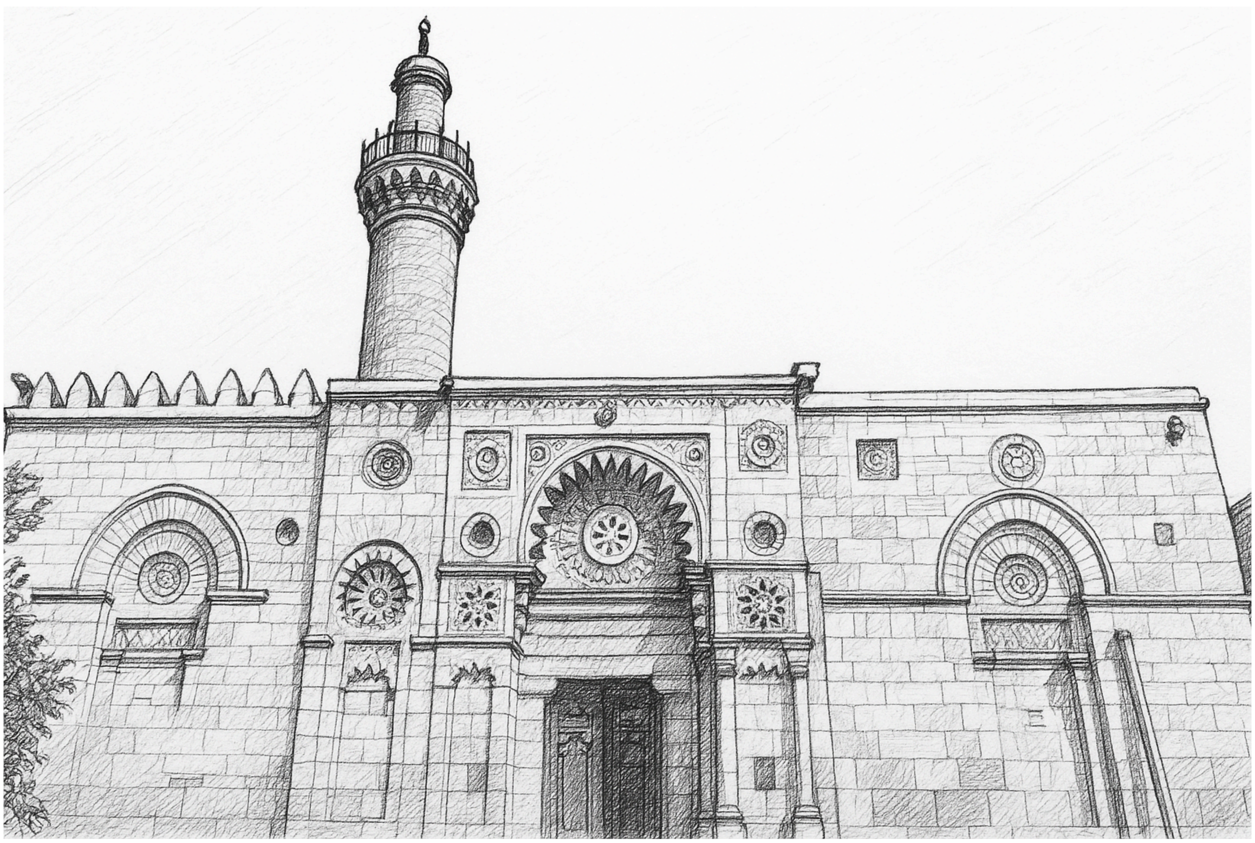


# جامع الأقمر

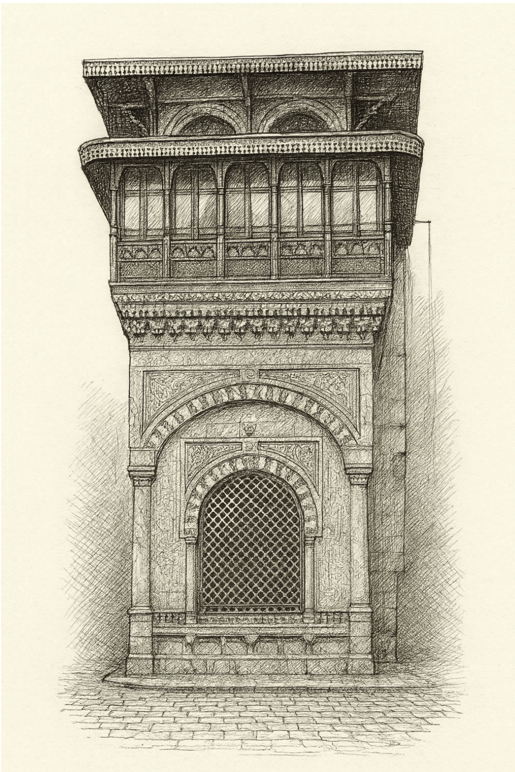
يعود للعصر الفاطمي، يقع في شارع النحاسين. بناه الوزير المأمون البطائحي سنة 519هـ / 1125م بأمر الخليفة الآمر بأحكام الله. سُمّي الأقمر بسبب حجارته البيضاء التي تُشبه لون القمر.

بُني الجامع أثناء أزمة سياسية للخلافة الفاطمية. لم يكن للجامع مئذنة لأنه كان ملاصقًا للقصر الفاطمي، لمنع النظر داخل القصور من مكان مرتفع. وكان صغير الحجم ليصلي فيه الخليفة وموكبه وسهولة الرقابة الأمنية داخله.

قام الأمير يلبغا السالمي بترميمه سنة 1393 أو 1397م في العصر المملوكي. وأضاف إليه المئذنة.



## سبيل وكتاب عبد الرحمن كتخدا



يجمع بين الطراز العثماني والمملوكي، وشيده الأمير **عبد الرحمن كتخدا** (كتخدا مصر أي محافظ مصر). وهو أمير مملوكي في عصر الدولة العثمانية.

يتكون المبنى من: **سبيل لسقي الماء** في الطابق الأرضي، **كتاب** فوقه لتعليم القرآن، **صهريج مياه** أسفل السبيل، ترتبط هذه المستويات بسُلّم داخلي واحد.

حجرة السبيل: مربعة الشكل، وبكل من أضلاعها دخلات معقودة بعقود نصف دائرية، يضم كل منها: شباك تسبيل من النحاس المسبوك، وحوض رخامي مستطيل لتقديم الماء للمارة.

جدران السبيل مكسوة ببلاطات خزفية عثمانية، أهمها لوحة خزفية تمثّل الكعبة المشرفة. سقف الحجرة خشبي بزخارف ملوّنة تعتمد على الأطباق النجمية، ويرتكز على إزار ذي حنايا مقرنصة.

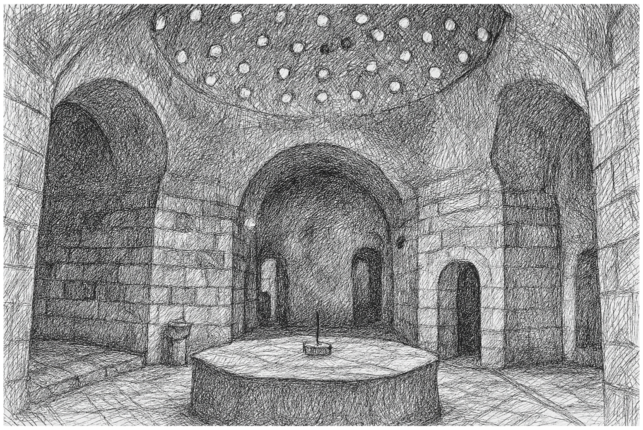
الكتاب: يحيط به ثلاث بائكات، كل بائكة تتكون من: عقدي حدوة فرس، ثلاثة أعمدة رخامية، درابزين من خشب الخرط داخل كل عقد.

## قصر الأمير بشتاك

الأمير بشتاك واحد من أمراء الدولة المملوكية. عاش في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون.

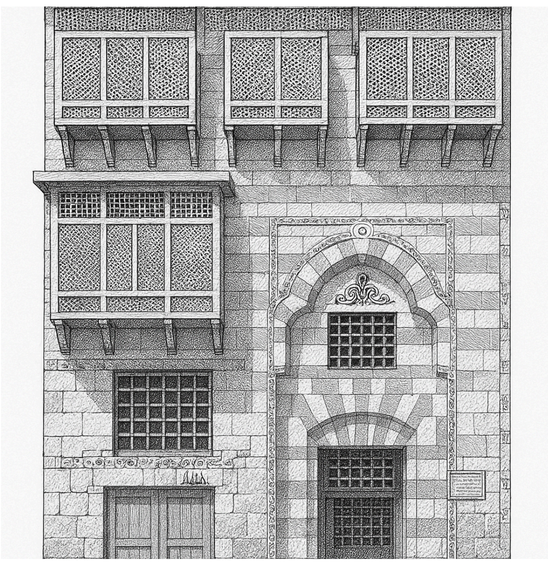
بني القصر سنة 740هـ / 1339م. . كان في الأصل ملكًا للأمير بدر الدين بكتاش ثم اشتراه بشتاك ووسّعه. كاد ينهار بعد زلزال 1992، وتم ترميمه بالتعاون مع معهد الآثار الألماني بتكلفة 50 مليون جنيه.
للقصر ثلاث واجهات، الواجهة الرئيسية على شارع المعز، يظهر فيها مشربيات بارزة وغائرة بزخارف هندسية.
ويتكوّن القصر من طابقين: الأرضي: قاعة، إسطبلات، مخازن، غرف خدم، وبئر. والعلوي: قاعة الاحتفالات وغرف النوم. وكان هناك طابق ثالث للحريم لكنه اندثر.

## حمّام إينال



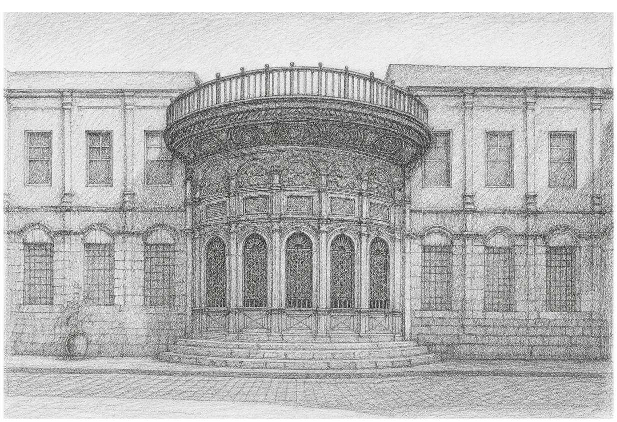
بناه السلطان المملوكي الأشرف إينال.
يدخل إليه عبر ممر منكسر لحفظ خصوصية الداخلين. تتكوّن قاعة الاستقبال من مساحة مربعة بسقف من عروق خشبية تتوسطه شخشيخة تضم 28 نافذة.
ومن ضلعها الشمالي يُفضي باب إلى حجرة خلع الملابس ذات قبو متقاطع وفسقية حجرية دائرية في المنتصف.
تحيط بقاعة الاستقبال أربع سدلات، أما المغطس فمربع تعلوه قبة ضحلة بها فتحات صغيرة للتهوية.

## المدرسة الكاملية



أنشأها السلطان الأيوبي الكامل محمد بن العادل أخو صلاح الدين عام 622هـ / 1225م لتعليم الحديث. لم يبقَ منها اليوم إلا الإيوان الغربي. نُقلت زخارفها الجصية المزينة بالخط الكوفي إلى متحف الفن الإسلامي. ويعدّها بعض الباحثين أقدم نموذج لمدرسة ذات إيوانين في مصر. أعيد بناؤها مرة أخرى عام 1166هـ على يد الأمير حسن كتخدا مستحفظان الشعراوي.

## سبيل محمد علي بالنحاسين



أنشأه محمد علي باشا صدقة على روح ابنه إسماعيل باشا الذي تُوفي في السودان.
يطل السبيل على شارع المعز بواجهة رخامية مستديرة مزخرفة بنقوش نباتية وكتابية، وتتضمن أربعة شبابيك للتسبيل أكبرها الشباكان المركزيان.
تحمل الشبابيك شبكات نحاسية مصبوبة بأشكال هندسية تعلوها زخرفة تشبه أشعة الشمس، وبأسفلها فتحات على شكل محاريب صغيرة لتمكين المارة من أخذ الماء. وتُتوَّج كلها بعقود نصف دائرية.

# مجموعة السلطان الظاهر برقوق

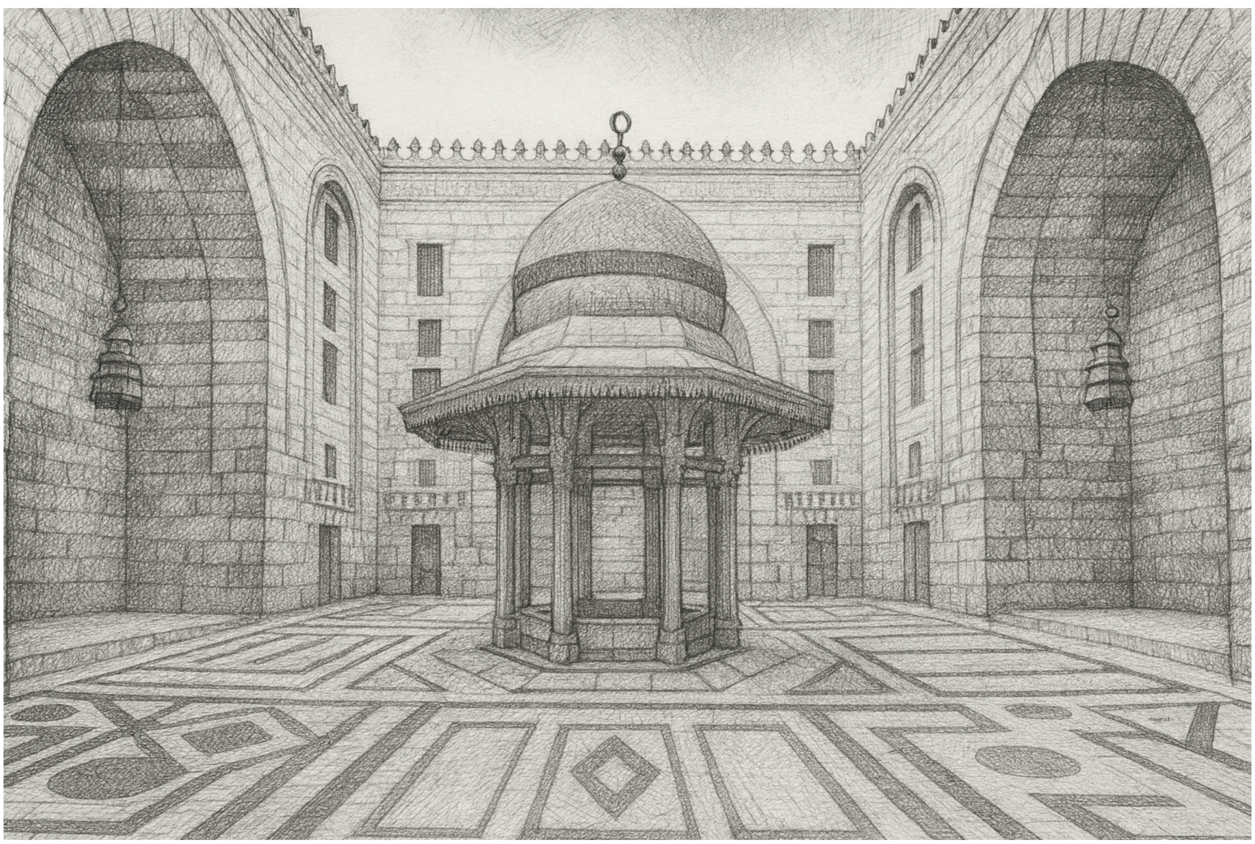
الظاهر برقوق هو مؤسس دولة المماليك الجراكسة. برع في المناورات السياسية حتى استقر له الحكم سنة 792هـ. حكم حتى وفاته سنة 801هـ، واتسع ملكه، وجدد عمائر كثيرة، وأوصى ببناء تربة له في صحراء المماليك بمصر القديمة.

الواجهة الرئيسية فخمة بالحجر، ومدخلها مزخرف ومزوَّد بمصراعين نحاسيين مكفتين بالفضة.

مجموعة الظاهر برقوق تضم: مسجدًا – مدرسة – خانقاه – قبة ضريحية. بدأ البناء بحجارة ضخمة تُعرف بالعجالي. ثم نقل رفات والد برقوق وأحد أبنائه إلى القبة. القبة غنية بالرخام والزخارف وتضم قبور والد برقوق وأهله.

المدرسة تتكون من أربعة إيوانات حول صحن مكشوف تتوسطه فسقية. إيوان القبلة تزينه زخارف رخامية فاخرة والمحراب الدقيق والسقف المذهب. خلف الإيوان الغربي توجد الخانقاه وبها خلاوي للصوفية.

المئذنة ثلاثية الطوابق وتنتهي بخوذة كمثرية وهلال نحاسي.



## المدرسة الناصرية

ملاصقة لقبة المنصور قلاوون. بدأ بناءها الملك العادل كتبغا بعد خلع الناصر محمد بن قلاون من ولايته الأولى، ثم عندما عاد الناصر للحكم في ولايته الثانية فاشترى المدرسة قبل اكتمالها وأتمّ إنشاءها، وأضاف إليها قبة كبيرة دُفنت فيها والدته، ثم دُفن فيها أيضًا ابنه أنوك.
أما الناصر محمد نفسه فأوصى أن يُدفن في تربة أبيه المنصور قلاوون.
المدرسة كانت مركزًا علميًا مهمًا، تُدرَّس فيها المذاهب الأربعة، وبها مكتبة كبيرة لخدمة طلاب العلم.

## المدرسة الظاهرية

أُنشأها الظاهر بيبرس البندقداري في العصر المملوكي، ملاصقة لمدفن الصالح نجم الدين أيوب. وكان موقعها سابقًا جزء من القصر الفاطمي الشرقي. كانت من أكبر المدارس المملوكية، لكن لم يتبقى منها اليوم سوى الإيوان الشمالي الشرقي.

## المدرسة الصالحية وضريح الصالح نجم الدين أيوب

بعد وفاة السلطان في دمياط، أخفت زوجته شجرة الدر خبر الوفاة. وبعد هزيمة الصليبيين أمرت ببناء الضريح داخل المدرسة الصالحية.
أُنشئت المدرسة الصالحية سنة 641هـ على يد الصالح نجم الدين. كانت تتكون من بناءين: قبلي وبحري، اندثر القبلي تمامًا، ولم يبقَ من البحري إلا الإيوان الغربي. كان كل بناء يضم إيوانين متقابلين شرقي وغربي، ويفصل بينهما ممر.
واجهة المدرسة ما تزال باقية بزخارفها. المئذنة تبدأ بمربع ثم مثمن مزخرف بصفوف وعقود نباتية، وتنتهي بقبة مضلعة، وهو طراز مآذن القرن السابع الهجري قبل تطورها للشكل المملوكي الشائع لاحقًا.

# مجموعة السلطان المنصور قلاوون



مسجد – مدرسة – قبة ضريحية – بيمارستان، تقع في قلب بين القصرين. ويُعد ضريحها من أجمل أضرحة العالم.

أسسها السلطان المنصور سيف الدين قلاوون (مؤسس أسرة حكمت مصر والشام قرابة قرن). استطاع تثبيت حكمه واهتم بالعمارة وبشراء المماليك الجراكسة الذين صاروا لاحقًا نواة الدولة المملوكية الثانية في عهد برقوق.

الواجهة: عقود على أعمدة رخامية، شبابيك هندسية، إفريز كتابي، وشرفة مسننة بزخارف متأثرة بالعمارة السورية.
المئذنة: ثلاثية الطوابق (مربع – مربع – مستدير) بنقوش دقيقة، أعاد بناءها الناصر محمد بعد زلزال 702هـ.
المدخل: مكسو بالرخام، ومصاريع نحاسية هندسية، يؤدي إلى دهليز يفصل بين القبة والمدرسة والبيمارستان.

**القبة** من أجمل قباب مصر الإسلامية: قاعدة مربعة تحمل مثمنًا تعلوه قبة، نوافذ جصية ملوّنة، مقرنصات مذهّبة، وأفخم محراب رخامي مطعّم بالصدف.

**المدرسة:**
إيوان شرقي فخم متعدد الأروقة بزخارف جصية وشبابيك مستديرة. محراب أقل فخامة من قبة الضريح، ومنبر مملوكي لاحق (عمل أزبك 899هـ). أُلحق بها سبيل وكُتّاب في عهد الناصر محمد.

**البيمارستان:**
أحد أشهر مستشفيات العصور الوسطى: استُعمل جزء من قاعة ست الملك الفاطمية القديمة.
يضم إيوانات للعلاج، فسقيات رخامية، سلسبيل، وتنظيم معماري يشبه قصور الأندلس خاصة قصر الحمراء.

# الجامع الأزهر

أهم مساجد مصر، وأقدم أثر فاطمي قائم في مصر. بناه جوهر الصقلي لتدريس المذهب الشيعي الإسماعيلي، سمي جامع القاهرة ثم جامع الأزهر تيمنًا بالسيدة فاطمة الزهراء.

في عهد صلاح الدين الأيوبي تراجع دوره، وألغيت صلاة الجمعة نحو مئة سنة. عاد بقوة في عهد الظاهر بيبرس المملوكي.

قصف نابليون الأزهر واقتحمه بخيوله وقتل علماؤه حين ثاروا على الحملة الفرنسية في 1798. ثم أغلق حتى خرج الفرنسيين في 1801. الآن هو أهم مؤسسة سنية في العالم لنشر تعاليم الإسلام وعلومه.

